

الحلقة (٣)

لا يزال الحديث موصولا ومتصلا عن أحكام الجهاد، فقله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ كان عنواناً على ما سيأتي، وهو:

❖ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا لِي بِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)﴾
هذه آية أخرى جاءت عقيب قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾.

❖ مناسبة الآية لما قبلها:

ولعل وجهاً من وجوه المناسبات بين الآيتين نذكره هنا، فيمكن أن يقال: أنه تعالى لما فرض القتال أو الجهاد على المسلمين ضرب مثلاً حياً كيف أن الجهاد أصبح فرضاً على المسلمين من خلال واقعة سوف نعرفها وهي سبب النزول، هذا هو لعله يكون وجه المناسبة بين الآيتين.

❖ مفردات الآية:

﴿قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: سمي الشهر شهراً قيل لاستشهاده بإهلال الهلال، ومنه اشتهر الأمر إذا صار شهيراً، والمراد بالشهر في الآية: شهر رجب، فمن تنزلت بسببهم الآية سألوا الرسول ﷺ عن واقعة وقعت في شهر رجب.

قوله تعالى ﴿الْحَرَامُ﴾ الحرام: الممنوع يقال حرمه الشيء إذا منعه.

﴿قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ﴾: الصد أصل الصد الصرف والمنع، مأخوذ من صد الجبل وهو ما يحول بينك وبينه، ومنه الصديد وهو ما حال بين اللحم والجلد من القيح، هذا هو الصد في اللغة.

﴿قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾: الفتنة أصلها الاختبار، يقال فتنت الفضة إذا أدخلتها النار لتمييز جيدها من رديئها، وجماع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان، والفتنة فيها أقوال كثيرة ومعاني متعددة من حيث اللغة الفتنة فيها أقوال كثيرة، لكن يؤول معنى أمر هذه الأقوال إلى معنى الابتلاء والامتحان.

﴿قوله تعالى: ﴿يَرْتَدِدْ﴾: أي يرجع عن الإسلام إلى الكفر.

﴿قوله تعالى: ﴿حَبِطَتْ﴾: أي بطلت وانتقضت، وأصله من قولهم حبطت الدابة إذا أكلت أكلا انتفخ بطنها منه فماتت، فكلمة حبطت تدل على انتهاء الشيء بعد انتفاخ كما قيل في أمر الدابة.

❖ **سبب نزول قوله تعالى:** ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾

سبب نزول الآية أن الرسول ﷺ بعث عبد الله بن جحش رضي الله عنه في سرية إلى مكان يقال له نخلة، ونخلة هذه موضع بين مكة والطائف، فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي في غير لقريش، يعني عبد الله بن جحش رضي الله عنه أرسل على سرية وهو أميرها، ذهبوا قاصدين مهمة عسكرية بحجة، أمر بها الرسول ﷺ، فعندما ذهبوا إلى نخلة وجدوا عمرو بن الحضرمي في غير لقريش وهو رجل مشرك في يوم بقي من شهر رجب، فلم يكونوا ليعلمون أهو من الشهر الحرام أم لا، والعرب في جاهليتها كانت تعظم هذه الأشهر، التي هي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ثلاثة سرد وواحد فرد، في هذه الأشهر كانت العرب لا تتقاتل، إذا دخلت هذه الأشهر يوقفون القتال، فإذا رأى الشخص قاتل أبيه خلال هذه الأشهر فلا يستطيع قتله تعظيماً لهذه الأشهر، فعبد الله بن جحش ومن معه لم يكونوا يعلمون هل هذا اليوم من رجب أم رجب قد انسلخ، فرأى عمرو بن الحضرمي وهو عدو ومعه غير لقريش، وهي قاتلت الرسول ومن معه، فقتلوا ابن الحضرمي، فبلغ ذلك كفار قريش، وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين، فأتى وفد منهم النبي ﷺ فقالوا مستعظمين ومستهزئين: أيجل القتال في الشهر الحرام؟! فنزلت الآية.

❖ **مسألة:** هل هذه الآية محكمة أم منسوخة؟ أي هل الحكم باق من حيث القتال والجهاد جائز في الأشهر الحرم أم لا؟

❖ **القول الأول:** ذهب جمهور العلماء على أن هذه الآية منسوخة، وأن قتال المشركين في الأشهر الحرم مباح فإذا فرجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم يجوز فيهن القتال، وأنتم معشر المشركين من حرم هذه الأشهر، ومن العجب أنهم هم الذين حرموها، وأحياناً إذا جاءت الحاجة للاقتتال قد يقتتلون، في سورة التوبة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ إذا هم يحللون أحياناً ويقدمونه ويؤخرونه على ما ذكر عنهم، فإذا جمهور العلماء على أن الآية منسوخة بالأمر بقتال المشركين في الأشهر.

❖ **واختلف العلماء في ناسخ هذه الآية:**

❖ فقال الزهري رحمه الله تعالى نسخها قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ والآية من سورة التوبة.

❖ وقيل نسخها غزو النبي ﷺ ثقيفاً في الشهر الحرام.

❖ وقيل نسخها بيعة الرضوان على القتال في ذي القعدة، وهو قول ضعيف، بيعة الرضوان اجتمع المسلمون على أنهم وهم ذاهبون إلى مكة للعمرة فإذا منعهم المشركون فإنهم سيقاتلون وبايعوا رسول الله ﷺ على حد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي

قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿ لكن هذا القول ضعيف، هذا هو القول الأول أن الآية منسوخة وناسخها على ما علم قبلاً.

❖ **القول الثاني /** ذهب عطاء على أن الآية **محكمة** وأنه لا يجوز القتال في الأشهر الحرم، وواضح أن الراجح هو ما ذهب إليه جمهور العلماء، إذاً الآية منسوخة في قول جمهور العلماء. وما المراد بالأشهر الحرم، الأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب ويعبرون عنها أحياناً بثلاثة سرد وواحد فرد وهو رجب لأنه جاء لوحده، وسميت حرماً لتحريم القتال فيهن.

❖ **مسألة ثانية:** من السائلون في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ و﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾؟

واضح من السياق أن السائلين هم المؤمنون، وأن أكثر الروايات تقتضي ذلك ولأن السياق يقتضي ذلك، ولأن مدنية السورة تقتضي ذلك على ما ذهب إليه بعضهم.

❖ **مسألة ثالثة:** الإعراب في قوله تعالى ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾

❖ في بعض آي القرآن تأتي بعض الأعراب المشككة، فمما استشكل هذه الآية عند النحاة من حيث الصنعة النحوية فهم يرون أن ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ في البداية قتالٍ فيه جاء بالجر، فلعل بعضهم يستشكل يقول إن هذا التركيب مقلق من حيث الصنعة الإعرابية، فقلوله قتال فيه قتال بدل اشتغال، لأن السؤال اشتمل على الشهر وعلى القتال، وتقديره: يسألك الكفار تعجباً من هتك حرمة الشهر، سألهم عن الشهر إنما كان لأجل القتال فيه.

❖ قوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ مبتدأ وخبر، وقوله تعالى: ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، (صَدُّ) مبتدأ و﴿كُفْرُ بِهِ﴾ عطف على صد، فيكون الخبر ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

و﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عطف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ عطف على صد، هذه بعض الجوانب الإعرابية في الآية.

❖ **المسائل الفقهية في الآية:**

❖ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ﴾: أي يرجع عن الإسلام إلى الكفر، وعليه فقد اختلف العلماء في المرتد هل يستتاب أم لا؟ وهل يحبط عمله بالردة أم لا؟، وهل يورث أم لا؟
❖ هل يستتاب أم لا:

الجواب: العلماء على أقوال منها:

❖ **القول الأول /** يستتاب فإن تاب وإلا قتل على قول طائفة من العلماء.

❖ **القول الثاني /** يستتاب ساعة فإن تاب وإلا قتل.

❖ **القول الثالث /** يستتاب شهراً فإن تاب وإلا قتل.

❁ **القول الرابع** / قال الحسن (يستتاب مائة مرة) في قول، وروى عنه أنه يقتل دون استتابة، وهو أحد قولي الشافعي.

❁ **هل يحبط عمل المرتد؟:**

القول الأول / ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام لم يحبط عمله، ولا حَجُّه الذي فرغ منه، بل إن مات على الردة فحينئذٍ تحبط أعماله.

القول الثاني / وذهب مالك رحمه الله إلى أن عمل المرتد يحبط بنفس الردة، ويظهر الخلاف في المسلم إذا حج ثم ارتد ثم أسلم، فقال مالك: يلزمه الحج لأن الحجة الأولى قد حبطت بالردة، وقال الشافعي لا إعادة عليه لأن عمله باقٍ.

❁ **وهل يورث أم لا؟:**

الذي عليه الأكثر أنه لا يورث لاختلاف الديانتين، فلا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم، فلا توارث بينهما.

ومعنى الآية: أنكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتال في الشهر الحرام، وتفعلون أنتم من الصد عن سبيل الله لمن أراد الإسلام ما ذكرته الآية، ويجب على المسلمين أن يحذروا من أن يعودوا أو أن يشوهوا الإسلام تحت أي ظرف، فالمسلم إذا ارتد فإن جزاءه عياداً بالله جهنم لمن حبط عمله بهذا الارتداد عياداً بالله.